ومن الغريب جدا ما يعزى إلى محمد بن كرام وأصحابه الكرامية من القول بأن كلام ا حروف وأصوات قائمة بذاته تعالى وقالوا : لا يلزم أن كل صفة قديمة ونسب مثل هذا إلى الحشوية وأما المعتزلة فأثبتوا أنه متكلم ومنعوا أن تكون له صفة تسمى الكلام والذي دعاهم إلى ذلك هو الجمع بين ما شاع في القرآن والسنة وعند السلف من إسناد الكلام إلى ا وإضافته إليه وقالوا : إن اشتقاق الوصف لا يستلزم قيام المصدر بالموصوف وتلك طريقتهم في صفات المعاني كلها وزادوا فقالوا : معنى كونه متكلما أنه خالق الكلام .

وأما الأشعري وأصحابه فلم يختلفوا في أن الكلام الذي نقول : إنه كلام ا المركب من حروف وأصوات المتلو بألسنتنا المكتوب في مصاحفنا إنه حادث وليس هو صفة ا تعالى وإنما صفة ا مدلول ذلك الكلام المركب من الحروف والأصوات من المعاني من أمر ونهي ووعد ووعيد . وتقريب ذلك عندي أن الكلام الحادث الذي خلقه ا دال على مراد ا تعالى وأن مراد ا صفة .

قال أبو بكر الباقلاني عن الشيخ : ان كلام ا الأزلي مقروء بألسنتنا محفوظ في قلوبنا مسموع بآذاننا مكتوب في مصاحفنا غير حال في شيء من ذلك كما أن ا معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا معبود في محاريبنا وهو غير حال في شيء من ذلك . والقراءة والقارئ مخلوقان كما أن العلم والمعرفة مخلوقان والمعلوم والمعروف قديمان ا ه . يعني أن الألفاظ المقروءة والمكتوبة دوال وهي مخلوقة والمدلول وهو كون ا مريدا لمدلولات تلك التراكيب هو وصف ا تعالى ليصح أن ا أراد من الناس العمل بالمدلولات التي دلت عليها تلك التراكيب . وقد اصطلح الأشعري على تسمية ذلك المدلول كلاما نفسيا وهو إرادة المعاني التي دل عليها الكلام اللفظي وقد استأنس لذلك بقول الأخطل : .

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا وأما أبو منصور الماتريدي فنقل الفخر عنه كلاما مزيجا من كلام الأشعري وكلام المعتزلة والبعض نقل عنه مثل قول السلف . وسبب اختلاف النقل عنه هو أن الماتريدي تابع في أصول الدين أبا حنيفة . وقد اضطرب أتباعه في فهم عبارته الواقعة في العقيدة المنسوبة إليه المسماة : الفقه الأكبر (إن صح عزوها إليه) إذ كانت عبارة يلوح عليها التضارب ولعله مقصود . وتأويلها بما يوافق كلام الأشعري هو التحقيق .

وتحقيق هذا المقام بوجه واضح قريب أن نقول : إن ثبوت صفة الكلام هو مثل ثبوت صفة الإرادة وصفة القدرة له تعالى في الأزل وهو أشبه باتصافه بالإرادة فكما أن معنى ثبوت صفة

الإرادة انه تعالى متى تعلق علمه بإيجاد شيء لم يكن موجودا أو بإعدام شيء كان موجودا أنه لا يحول دون تنفيذ ما تعلق علمه بإيجاده أو إعدامه حائل ولا يمنعه منه مانع ومتى تعلق علمه بإبقاء المعدوم في حالة العدم أو الموجود في حالة الوجود لا يكرهه على ضد ذلك مكره . فكذلك ثبوت الكلام معناه أنه كلما تعلق علمه بأن يأمر أو ينهى أحدا لم يحل حائل دون إيجاد ما يبلغ مراده إلى المأمورين أو المنهيين وكلما تعلق علمه بأن يترك توجيه أمر أو نهي إلى الناس لم يكرهه مكره على أن يأمرهم أو ينهاهم .

وكما أن للإرادة تعلقا صلاحيا أزليا وتعلقا تنجيزيا حادثا حين تتوجه الإرادة إلى إيجاد بواسطة القدرة . كذلك نجد لكلام ا تعلقا صلاحيا أزليا وتعلقا تنجيزيا حين اقتضاء علم ا توجيه أمره أو نهيه أو نحوهما إلى بعض عباده .

فالكلام الذي ينطق به الرسول وينسبه إلى ا تعالى هو حادث وهو أثر التعلق التنجيزي الحادث والكلام الذي نعتقد أن ا أراده وأراد من الناس العمل به هو الصفة الأزلية القديمة ولها التعلق الصلاحي القديم . وفي الرسالة الخاقانية للعلامة عبد الحكيم السلكوتي نقل عن بعض العلماء بأن لكلام ا تعلقا تنجيزيا حادثا وهذا من التحقيق بمكان .

والتحقيق : أن ذلك الكلام الأزلي يتنوع إلى أنواع المدلولات من أمر ونهي وخبر ووعد ووعيد ونحو ذلك .

A E